ترميمها استغرق ربع قرن

العامرية في مواجهة أصعب أيامها

- ثلاث دول صديقة ساهمت في إعادة التاريخ الى داخل المبنى

■ الجماعة المسلحة التي اقتحمت قلعة ومدرسة العامرية في رداع منذ ايام لا تتصرف بعشوائية وتحديداً في مكان تاريخي بحجم العامرية يضع احتمالات كثيرة لما تريد الجماعات عمله في المستقبل المرئي.

لقد قامت باختيار الموقع الذي يوفر لها جزءاً من الحماية ليست الجغرافية فحسب بل الحماية الثقافية ويمكن تفسير ذلك من خلال استذكار ما اقدمت عليه جماعة طالبان حين وحهت مدافعها صوب تمثال بوذا في افغانستان وبذل العالم جهداً في اثنائها عن هذا العمل واتجه رئيس اتحاد العلماء المسلمين الى باكستان وتواصل مع المسئولين عن الحركة إلا أنهم رفضوا كل توسلات العالم في الحفاظ على تراث لا يخص امة بعينها وانطلقت القذائف لتشوه كل ذلك التاريخ الإنساني، هنا تتكرر الصورة من بين كل المباني والأمكنة في رداع حدد المسؤول عن الجماعة قلعة العامرية وحسب معلومات فقد تعهد بأداء الصلاة في الجامع والخروج فوراً وقال لهم متعهداً ومقسماً بوجه أحمد ناصر والده أنه سيخرج عند إكمال الصلاة وهو ما يضيف تساؤلاً آخر كيف لمن يعلن أنه نواة الشريعة الإسلامية ودولة الخلافة أن يتخذ من وجه أبيه أداة للقسم مع بديهية عدم جواز الحلف بغير الله.

استطلاع/ صقر الصنيدي

يوم من تاريخها

سيكون وقع الخبر مؤلما على سلمى الراضي المرأة التي قضت سنوات عمرها داخل القلعة والجامع تريد أن تعيد للعامرية وجهها القديم الذي تكون في العام ١٥٠٤م وترغب في أن تعيد كل شيء إلى مكانه وقد تمكن فريق خبراء أجانب ووطنيين من إعادة الترميم وأشرق وجه العامرية بعد ٢٥ عاما من العمل الذي لا يتوقف، أتذكر يوم الافتتاح كان المشهد مهيبا، تاريخ يلتقي روحه ولوحة تكتمل وبشر فرحون بأن يحظوا بفرصة أول من يرى القلعة التي شيدها الملك عامر بن عبدالوهاب آخر حكام الدولة الطاهرية كل شيء بدا قديما بثوب جديد حتى الحاضرين تملكتهم فكرة أن يكونوا جزءاً من تاريخ مدينتهم يقول، أحمد البابلي في مقال كتبه أمس الأول كنت أراها كل يوم وهي ترمم وتنمو وطفولتي تنمو حتى جاء افتتاحها ورؤيتها تنتصب ببياضها الذي يخطف الأبصار أثناء سطوع شمس الظهيرة كما كانت سلوى الراضي والمهندس يحيى البحيري وغيرهما ممن عملوا في المشروع سعداء بكل هذا الإنجاز قالت سلمى اليوم أحسست أني ساهمت في كتابة التاريخ القديم لهذه الأرض ولمن سكنها وبنى فيها وعاش فيها سنوات العلم.

يضم الطابق الأول مجموعة من الغرف المخصصة لسكن طلاب العلم يعيشون هناك حتى يكملون التعليم المقرر حينها والشامل لمعظم مناحي العلوم الدينية والطبيعية، الغرف متقاربة ويتم الدخول إليها عبر بابين أحدهما في الجدار الغربي والآخر في الجدار الجنوبي ومنه يتم الوصول إلى الحمامات المبنية بالطريقة الإسلامية القديمة حيث يصل إليها الماء الجاري عبر ممرات تصل إلى كل واحد منها. يتم الانتقال إلى الطابق الثاني المخصص للصلاة والمكون من بيت الصلاة مستطيل الشكل تغطيه ست قباب مقامة على عقود مدببة لا تتكرر رؤيتها في أماكن أخرى يحملها عمودان وأوجه العقود من الداخل تمتلئ الجدران بالزخارف التي استغرقت إعادة ترميمها الوقت الأكثر باستخدام المادة الأصلية الجص وتمتزج فيها ألوان تبعث الاطمئنان إلى النفس، الزخارف نباتية وهندسية وكتابات قرآنية تتكثف في أقطاب القباب وتم استخدام خط الثلث وعند تتبع الشريط الكتابي فإن عليك أن تدور وتقرأ ألقاب السلطان عامر بن عبدالوهاب بن داوود بن طاهر المعروف بالملك الظافر صلاح الدين وإلى جواره تاريخ الإنشاء الذي وافق ربيع الأول ٠١٩ هجرية.

ربع قرن

■ تبنت عدد من الدول الصديقة العمل على إنجاز مشروع الترميم أهمها ألمانيا وأمريكا وايطاليا وجميعها دفعت بعدد من خبرائها في فترات متقطعة للإسهام في إنجاز العمل الذي احتاج لربع قرن من الزمن وهي فترة تفوق مدة الإنشاء – فقد كانوا كما تقول الراضي حريصين على عدم الاخلال بأي مكون قديم ومطابقة ما يبنى لما كان عليه في السابق دون زيادة أو نقصان حفاظاً على روح المبنى القديم.

جزء من تاريخ مدينة

■ أهمية مدرسة العامرية تأتي باعتبارها جزءاً من مدينة تاريخية عريقة في البناء وطبقاً للدكتور عبدالغني الشرعبي أستاذ الآثار في جامعة صنعاء فإن رداع من أقدم المدن المذكورة في النقوش، حيث ورد ذكرها للمرة الأولى في نقش النصر الذي دونه الملك السبئي المعروف «كرب إيل وتر» مكرب سبأ في القرن السابع قبل الميلاد والنقش موسوم بـ (RES ٠٣٩٤٥).

ويضيف أستاذ الآثار: إن الطريقة التي أقيمت عليها رداع هي مدن الوديان المحاطة بالأسوار والأبواب، حيث كان لها أربعة أبواب أحدها معروف باب مقلة ويقع جنوباً ولا يزال قائماً وباب المحجري والبوابة الشرقية التي لم تعد موجودة وأخذتها طريق أقيمت هناك وباب الشجرة الذي أصبح عبارة عن كومة تراب مرتفعة مطموسة الملامح بحيث لا يمكن التمييز، بأنها باب إلا من لهم علاقة بالآثار وتحديد والأماكن.

خائفون على تاريخهم

■ الخوف الذي أورده البابلي «من أبناء رداع» مشروع فقد أصبحت العامرية قريبة من تحولها إلى متاريس حرب أو هدف لطائرة دون طيار أو ساحة معركة لا تقدر قيمة الإنسان ولا موروثه الحضاري.

ولا يستبعد أحد المهتمين بشؤون الجماعات المسلحة أن تكون تعمدت اختيار المكان الذي تعتقد أنه لن يتعرض للقصف لما له من أهمية تاريخية وثقافية خاصة أنهم يعلمون المدة والتكلفة التي أنجز بها الترميم والأصوات التي قد ترتفع دفاعاً عن التاريخ.

وحسب وليد عبدالواسع فتحويل العامرية إلى هدف جريمة لا يمكن أن يغفرها التاريخ وأيضاً تحويلها إلى درع واق يحتمي به المسلحون، انها لا تخص أبناء رداع وحدهم ولا اليمنيين وحدهم، بل تخص كل إنسان باعتبارها تراثاً إنسانياً ذا طابع إسلامي شاهد على قيام دولة وغياب أخرى، وليس مجرد مبنى بسيط.

الدكتور عبدالغني الشرعبي يحذر من هذا التحول ويقول أن أي اعتداء على العامرية هو اعتداء على تاريخ وتراث أمة كاملة وإذا كان الزمن وتحولاته البطيئة قد احتاج إعادة الترميم إلى ربع قرن فإن استخدام الأسلحة في تدمير العامرية سيجعل من المستحيل استعادة شكلها ونقوشها، ولن يفلح الخبراء في تحديد ملامح مبنى تعرض للتدمير المسلح، حيث أن القذائف تفسد روح المكان وشكله.

- ابناء المدينة يخشون من تحولها الى ساحة حرب أو هدف للقصف